



جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)



Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)



مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 5845-2015

رت م د إ: 537X-6202

السمات الإيقاعية في سورة الفلق

The rhythmic features of Surat Al Fala

د(ة). خديجة بن حليمة

جامعة يحيى فارس المدية – الجزائر

BENHALIMA20@GMAIL.COM

تاريخ النشر:

2020-12-25

تاريخ القبول:

2020-10-06

تاريخ الإرسال:

2020-08-16

المرجع: خديجة بن حليمة، « السمات الإيقاعية في سورة الفلق
»، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص:
398-372.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294>

السمات الإيقاعية في سورة الفلق

The rhythmic features of Surat Al Falaq

د(ة).خديجة بن حليمة

جامعة يحيى فارس المدية - الجزائر

ملخص:

القرآن الكريم كلام الله المعجز بأساليبه الرفيعة ومعانيه البديعة وبلاغته، ولعل من أهم صور إعجازه الإيقاع الفريد الذي يتميز به من غيره إذ يهتز له شعور المتلقي وفقا للأثر الذي يتركه في النفس.

وهذه الدراسة ومضة لغوية نحاول فيها إبراز بعض السمات الإيقاعية لسورة الفلق، والمتمثلة في الانسجام الناتج عن الدقة في ترتيب الحروف وتكرارها وفق نمط معين وكذا تخير ألفاظ دون غيرها وتوافق الفواصل بشكل يتوافق والمعنى العام للسورة منطلقين من إعطاء فكرة عن مفهوم الإيقاع واتجاهاته عند كل من القدامى والمحدثين ثم تطرقنا إلى ذكر عناصره ووظيفته منتقلين بعد ذلك لدراسة سورة الفلق من خلال إبراز بعض السمات الإيقاعية التي تتميز بها معتمدين في ذلك التقسيم المقطعي للسورة ودراسة بعض المقاطع الصوتية المفتوحة و المغلقة وسبب مجيئها على ذلك الشكل، كما تطرقنا إلى الفواصل والروي وصفات كل منهما في السورة.

Abstract:

This linguistic study attempts to highlight some of the rhythmic features of Surah Al-Falaq. First, it shows the harmony that results from the accuracy in arranging letters and repeating them according to a certain pattern. Second, it deals with the reasons that lie behind choosing specific words instead of others as well as matching commas in a manner compatible with the general meaning of the Surah. We began with the definition of the concept of rhythm and its directions according to both ancient and the modernist scholars. Then, We mentioned its elements and functions. After that, we studied Surah Al-Falaq by accentuating some of the rhythmic features that are obvious in the text, relying on that syllabic division of the Surah to study some of the open and closed phonemic syllables. We also focused on the reason behind its appearance in that form. In addition, we dealt with commas, rhyming letters and the characteristics of each of them in the Surah.

مقدمة:

يتميّز النّص القرآني دون غيره بإيقاع مميّز متفوّد، تركّبه التّلاوة ويزيده التّجويد جمالية. إذ تعدّ لغته بجرسها الفريد وسيلة للفت الأنظار إليه، ويكمن سر ذلك الإيقاع في الدّقة في ترتيب الحروف وتخيّر الألفاظ بشكلٍ يلفت أسماع المتلقّين على اختلاف مستوياتهم، فيؤثّر فيهم ويصوّر للمتأمّل منهم المشهد كأنه يراه. من هذا المنطلق حاولنا الولولج إلى عالم الإيقاع في الخطاب القرآني من خلال إبراز بعض السّمات الإيقاعية في سورة الفلق، منطلقين من التّساؤلات الآتية:

ما هو الإيقاع؟ وكيف يبنى الإيقاع المعنى؟ وما دور التّوزيع المقطعي في إبراز الإيقاع وإيضاح المعنى في سورة الفلق؟
وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مراجع أهمها:

- دلالة المقطع الصّوتي في سورة الفلق للدّكتور حازم ذنون اسماعيل والدّكتورة سناء محمد طاهر، وقد ركّزت هذه الدّراسة على البنية المقطعية الصّوتية لتصل إلى الدّلالة الصّوتية، أمّا في دراستنا فقد أبرزنا بعض السّمات الإيقاعية في سورة الفلق من خلال بعض المقاطع الصوتية وكذا الفواصل وانسجامها مع المعنى لكونهما جزء لا يتجزأ من الإيقاع .

الإيقاع:

تباينت آراء الباحثين والدارسين في تحديد مفهوم الإيقاع، واختلفت وجهات نظرهم في نشأته باختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم وثقافتهم. وقبل الولوج في محاولة التّطرق إلى مختلف المفاهيم التي وضعت لهذا المصطلح؛ يجدر بنا المقام أن نقف عند الدلالة المعجمية لهذا المصطلح.

فالإيقاع من وجهة نظر حديثة هو مصطلح انجليزي (Rythme) انشق أصلا من اليونانية بمعنى "الجريان" و"التدفق" وتطوّر فيما بعد ليصبح مرادفا للكلمة الفرنسية (Mesure) المعبرة عن المسافة الجمالية⁽¹⁾. ويقصد به عموما " التواتر المتتابع بين حالتي الصّوت والصّمت أو النّور والظلام أو الحركة والسكون والقوّة والضعف أي أنه يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر وبين الجزء وكل الأجزاء الأخرى للأثر الفني والأدبي"⁽²⁾ مما يعني أنّ هذه الأجزاء محكومة بنظام العلاقات المتناسقة التي تعطي هذا البناء شكله الإيقاعي المكتمل، كالوردة الجميلة

¹⁾ Paul Robert:Dictionnaire de la langue francais, Société de la nouvelle lettre Paris,1975,P213.

نقلا عن: موسى العموري، البنية الإيقاعية والدلالية في شعر أبي ذؤيب الهذلي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللسانيات، اشراف الدكتور أحمد حساني، السنة الجامعية 2015/2016، ص 13

⁽²⁾ الإيقاع الروائي في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، م د أحمد عبد الله خلف مدير معهد إعداد المعلمين/ الحويجة. مجلة جامعة تكريب للعلوم، المجلد19، العدد2، حزيران2012، ص12.

مثلا التي ترجع إلى مجموعة من الأنظمة المكوّنة لها، والتي أكسبتها شكلا مكتملا يحدث الأثر الجمالي في النفس الإنسانية في النهاية.

والعلاقة بين الإيقاع لغة ومصطلحا، وبين الحركة المنتظمة، علاقة قائمة أكدها الباحثون، ليس في اللغة العربية فحسب، وإنما في اللغات الأجنبية التي اشتقت مصطلحها في الكلمة الإغريقية *ruthmos* التي تعني "الحركة المنتظمة" وقد اشتقّ المصطلح الأجنبي *rythm* منها.⁽¹⁾

2-1- الإيقاع لغة:

أما الإيقاع في معاجمنا العربية "فهو من المادة (و. ق. ع) وهي حروف من أصل واحد يرجع إليه فروعه يدلّ على سقوط الشّيء. يقال: وقع الشّيء وقوعا، فهو واقع، والواقعة: القيامة لأنها تقع بالخلق فتغشاهم، والواقعة: صدمة الحرب، والوقائع منافع الماء المتفرقة، كأن الماء وقع فيها، ومواقع الغيث مساقطه، والنّسر الواقع من وقع الطّائر... ومنه التّوقيع: ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه

"⁽²⁾ كما جاء في لسان العرب أنه "رمي قريب لا تباذه كأثك تريد أن توقعه على

⁽¹⁾ العياشي محمد: نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصرية، تونس 1976، ص 43.

⁽²⁾ أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ج 6، ص 133-134.

الشيء، وكذلك توقيع الأركان⁽¹⁾.

كما أنه يأتي دالا على الغناء والألحان (الموسيقى)، وهو ما ذكره ابن منظور في قوله: " هو من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع"⁽²⁾

وهذا ما ذهب إليه الفيروز أبادي حين قال: "إيقاع ألحان الغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها"⁽³⁾.

2-2- الإيقاع اصطلاحا:

وإذا أتينا إلى الناحية الاصطلاحية ألفينا أنه من أكثر المصطلحات غموضا وضبابية، نتيجة تعدد وجهات النظر والدراسات وكذا اتساع مجال دراسة الإيقاع كونه يشمل معظم جوانب الحياة، متمثلة فيما يصدر عن الإنسان من قول منظوم أو منثور، وما يطال من حركات جسمية...، أو ما يحيط به كتوالي الليل والنهار وغيرها، لاسيما أن الاجتهاد في تحديد مفهوم المصطلح كان منذ عهد اليونان.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، بيروت، 1375هـ، 1956م، مادة وقع. ب العين، فصل القاف، م8، ص406. إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، أو من دار لسان العرب، بيروت، م3، ص906.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص408.

⁽³⁾ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث، ط 08، مؤسسة الرسالة، 2005م، مادة وقع، ص 773.

وهو إذ أتينا إلى تحديده الاصطلاحي "فعل يكيل زمان الصّوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة" ⁽¹⁾ يختصّ إذن علم الإيقاع " بنظم اللحن في طرائق ضابطة لأجزائه على أزمنة معينة تقاس عليها الأصوات في مواضع الشدة واللين" ⁽²⁾؛ أي أنّ موضوع علم الإيقاع في الاصطلاح هو "النقطة على النغم في أزمنة محدّدة المقادير والنسب أو تقدير لزمان النقرات، أو قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقطة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية، وكل واحد منها يسمّى دوراً، أو إظهار مناسبات أجزاء الزمان من القوة إلى الفعل بحسب اختيار الفاعل أو صياغة اللحن حسب أجزاء متناسبة من المفاصل الزمنية محدودة في كل ميزان أو جماعة فقرات بينها أزمنة معدودة المقادير لها أدوار متساوية الكمية على أوضاع مخصوصة يدرك تساوي الأزمنة والأدوار بميزان الطبع السليم.

وكما أنّ عروض الشعر متفاوتة الأوضاع مختلفة الأوزان لا يفتقر الطبع السليم فيها إلى ميزان العروض كذلك لا يفتقر إلى إدراك تساوية أزمنة كلّ دور من أدوار الإيقاع إلى ميزان يدرك به ذلك" ⁽³⁾، أي أن الإيقاع هو الزمن الفاصل بين

⁽¹⁾ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق: حسن السنوسي، دار سعاد الصباح- الكويت، ط2، 1992م، ص310.

⁽²⁾ أبو نصر الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد المالك خشبة، مراجعة وتصدير: محمود أحمد الحقي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، دت، ص 23.

⁽³⁾ صفي الدين عبد المؤمن الأرموني البغدادي: كتاب الأدوار، شرح وتحقيق: هاشم محد الرجب، دار الرشيد للنشر، 1980، بغداد، ص 139-140.

د(ة).خديجة بن حليلة

النّقرات، مما يجعل كلّ تفعيلة تتميّز من غيرها، ثم إنّ الإيقاع لا يرتبط بالشّعر والموسيقى فحسب وإنما بكلّ ما يتوفّر فيه من المتعة الجمالية.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ للإيقاع أكثر من منحى عند كلّ من القدامى والمحدثين. أمّا عند القدامى فقد تمّ تقسيمه حسب تعريفاتهم على:

• إيقاع الموسيقى والغناء.

• الإيقاع الشّعري

• الإيقاع النثري

أما عند المحدثين فقد قسم على:

• الإيقاع الجمالي

• الإيقاع الشّعري

• الإيقاع النثري

• الإيقاع القرآني.

2-3-عناصر الإيقاع:

تعددت العناصر الإيقاعية بتعدد الباحثين والنقاد وتوجهاتهم النّقدية فنجد

الباحث سحاج امحمد يصنفها في بحثه " نظرية الاصطلاح في علم الإيقاع - دراسة وتطبيق" ¹ إلى:

¹ سحاج امحمد: نظرية الاصطلاح في علم الإيقاع-دراسة وتطبيق-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإيقاعية والبلاغية، إشراف العربي عيش، قسم اللغة العربية وآدابها،

أ. الحركة والسكون ودلالاتهما اللفظية والمعنوية: من المهم للدّارس إذا تطرق لدراسة حركة الإيقاع أن يحصي عدد الحركات والسّواكن ونسب ترددها في النّص الذي يتناوله، وعلاقة تلك الحركات بحركة حرف الروي.⁽¹⁾

ب. الصّوت اللغوي: من حيث درجة جماليات الصّوت في اللغة العربية، والتّلوينات الصّوتية الأخرى - كالصّويت والإمالة والاختلاس- وأثرها في توقيع الخطاب الأدبي.

ت. المقطع اللغوي: "في حقيقته النطقية والأكوستيكية توزيع منظم للطّاقة الصّوتية، ويتمّ هذا التّوزيع على أساس التّباين الكائن بين الصّوامت والحركات وأنصاف الحركات، وللمقطع حدّ أعلى أو قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من السّماع، وهو وحدة من عنصر أو أكثر تصاحبها نبضة صدرية واحدة؛ فالمقطع يتشكّل على الأقل من صامت واحد أو أكثر؛ ويحدد ذلك مجرى النفس في الصدر، فهو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم، والمقاطع حزم صوتية ثابتة، قليلة العدد، ولكنها تتلوّن بتلوّن مكوناتها الصّوتية ذات الصّفات الفيزيائية المتباينة تباينا يترتّب عليه تميّز صوت عن صوت، قوّة أو ضعفا، همسا

كلية اللغات والآداب، جامعة حسيبة بن بوعلي، بالشلف، السنة الجامعية 2007/2008-1429/1428هـ، ص12-13.

⁽¹⁾ سحاج امحمد: نظرية الاصطلاح في علم الإيقاع-دراسة وتطبيق-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإيقاعية والبلاغية، مرجع سابق، ص72.

أو جهرا، شدة أو رخاوة، إلى غير ذلك من مواصفات، فتأتي وفق نظام اللغة في صوغ مفرداتها⁽¹⁾.

ث. البنية الصّرفية (الأحادية، والثنائية، والثلاثية...) مع التركيز على أهمية البنية الثلاثية في الميزان الصّرفي العربي، وأهميتها في توقيع الخطاب الفني أو من حيث الوظيفتين اللسانية والسّماعية

ج. الوزن: يستمد فاعليته من العروض، وقوانينه المجسدة في الأسباب والأوتاد والفواصل.

ح. القافية: لا يمكن اعتبار القافية تابع من تابع الشّعر فقط بل تتعداه (لأن القافية ليس أداة أو وسيلة نابعة لشيء آخر، بل هي عامل مستقل، صورة تضاف إلى غيرها من الصّور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلّا في علاقتها بالمعنى).

خ. الجرس الصوتي: فقد تمّ فيه معالجة الوظيفة الصّوتية واللسانية للجناس، والطّباق والتكرار في توقيع الكلام الفنّي، وما مدى ارتقائه إلى مستوى الوقع والتّطريب، فقال شوقي ضيف: "إنّ البحري كان يوفّر وقته للصّوت، فهو يطلق الموسيقى، ويدعها تؤثّر في أعصابنا كما يريد وبشّتهي"⁽²⁾.

د. النّبر ووظيفته الصّوتية واللسانية والإيقاعية: فهو يمثّل إيقاع النّهاية.

⁽¹⁾ تسنيم ذيب عبد الله الخطاب: الإيقاع في القرآن الكريم - مشاهد الجنة والنار أنموذجا -، مذكّرة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، اشراف إسماعيل أحمد عمارة، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية، 2011، ص12.

⁽²⁾ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص199.

ذ. التّغيم وما مدى ارتباطه بالترّجيع: وهو ترديد الصّوت وتكراره فيكسب الألفاظ إيقاعاً.

ر. مبدأ الخفّة والثّقْل في توليف الكلام: لقد أشار إليه أبو هلال العسكري قال: "ولا إن تعلوا الكلام فأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزّاً فجّاً ومتجعّداً جلفاً" وهذا ما يعرف لدى حازم القرطاجني.

ز. مصطلح "حلاوة المسموع" الذي يقابل النّقل، والتّنافر والتّضاد. فضلاً عن هذا، نجد رأي الباحث تسنيم ذيب عبد الله خطاب في بحثه "الإيقاع في القرآن الكريم - مشاهد الجنة والنار أنموذجاً-"⁽¹⁾ يصنف عناصر الإيقاع في القرآن إلى:

أ. المقطع

ب. التّغيم

ت. النّبر

ث. الصّوت في القرآن الكريم،

والذي تطرّق فيه إلى عوامل إحداث موسيقى الصّوت المتمثلة في:

-المخرج -المسافة -كمية الهواء -قوة دفع الهواء -البنية الصّوتية -أحكام التّجويد وقواعد الأداء -الفاصلة في القرآن.

⁽¹⁾ ينظر، تسنيم ذيب عبد الله خطاب: الإيقاع في القرآن، مرجع سابق، ص24.

وظيفة الإيقاع:

للإيقاع صلة وثيقة بالسمع الذي يعد أداة إلى معرفة قيمة مختلف الإيقاعات وجماليتها، الأمر الذي يهتّز له شعور المتلقّي، وفقا للأثر الذي يتركه في النفس، بناء على درجة هذا الإيقاع الذي يأخذ اتجاها تصاعديا. كل هذا موجود إثر النغمات الصادرة وفق خصائص معينة يتفرد بها كلّ إيقاع لأنّه يؤدي وظيفة فعّالة في إيجاد نوع من التواصل بين المتلقّي وتلك الأصوات المؤثرة⁽¹⁾.

إنّ هذه السمّات تضيف نوعا من الائتلاف الذي يسوّغ على أساس أنّه "الفاعلية التي تنقل إلى المتلقّي ذي الحساسية المرهفة الشّعور بوجود حركة داخلية، ذات حيويّة متنافية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية، تختلف تبعا لعوامل معقدة"⁽²⁾ أي أن الإيقاع هو ما يحقق تلك الجمالية التأثيرية.

كثيرا ما يلتبس الإيقاع بالوظيفة التي يقوم بها إلى درجة يصعب فيها التمييز بين أنواعه، وقد عرف الحقل العربي نوعين من الإيقاع:

1- الإيقاع الدّاخلي

⁽¹⁾ ينظر لالوسي عثمان: الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير «شعبة البلاغة وشعرية الخطاب»، إشراف عيسى لحيلح، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008-2009، ص 27-28.

⁽²⁾ لالوسي عثمان: الاعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم، مرجع سابق، نقلا عن كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين. بيروت، ط2، 1981، ص 230-231.

2- الإيقاع الخارجي

ولكل منهما وظيفته في العمل الأدبي يمكن تلخيصه فيما يلي:

1- الإيقاع الخارجي: وهو الذي يتولد من تناسق الحروف من حيث مخارجها وصفاتها، وحركاتها، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل والعبارات.

2- أما الإيقاع الداخلي: فهو حركة منتظمة في البناء يميّزه من غيره، وهذه الحركة الداخلية لا يمكن إدراكها من خلال حاسة السمع، لأنها حركة غير صوتية، وإنما تدرك من خلال فهم متكامل لنمو الحركة الإيقاعية داخل البناء الكلي.⁽¹⁾

دراسة سورة الفلق إيقاعيا

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

الكتابة المقطعية لسورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾

⁽¹⁾ ينظر محمد الصغير ميسة: جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل درجة الماجستير "تخصص: علوم اللسان العربي"، إشراف عمار شلوي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2011-2012، ص 28.

د(ة).خديجة بن حليلة

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ بَلْ
ص ح ص ص ح ح ح ص ح ص
ص ح ص
ف لُق
ص ح ص ح ص

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾

مِنْ شَرِّ ر مَا خ لُق
ص ح ص ص ح ص ص ح ح ح ص ح ص

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾

وَ مِنْ شَرِّ ر غَا س قن
إِذَا
ص ح ص ح ص ص ص ح ح ح ص ح
ص ص ح ح ح
وَ قَب
ص ح ص ح ص

السمات الإيقاعية في سورة الفلق]

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

وَ	مِنْ	شَرِّ	رَن	ن	فَا
ثَا	تِ				

ص ح ص ح ص ص ح ص ص ح ص ص ح ص ص ح ح ص ح

فَلِ عُمْرٍ قَدْ

ص ح ص ص ح ص ح ص

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

وَمِنْ شَرِّ رَحَا سِ دَن
إِذَا

ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح

 ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح

ح سَد

ص ح ص ص ح

"ابتدأت السّورة بكلمة (قل) وهي تتكوّن من مقطع طويل مغلق، وفيها تعليم

للمسلمين أن يقولوا ما جاء بعدها، وهي خطاب وأمر موجّه لكل من يصلح للخطاب بصورة إفرادية من المؤمنين المسلمين.

إنّ الاستهلال بلفظ (قل) يؤثر في الانطباع الأوّلي للنفس فيكون أكثر تأثيرا وفعالية في غيره لأنه يسحب آثاره على ما يليه⁽¹⁾. وكذلك فيه تنبيه للأمة بالالتزام بالاستعادة، فاللفظ جاء بصيغة الأمر ليبيّن أهميّة الاستعادة⁽²⁾.

ولصوت (القاف) الانفجاري في بداية الآية دلالة مهمة فكأنه مطرقة تدق الأسماع، وتطرق القلوب، وقد أحدث ضجّة واضطرابا في الحنجرة عند النطق به، وضجّة نفسية تستجيب لها النفس مباشرة عند سماعها الخطاب الإلهي، فضلا عن إعطائه جرسا موسيقيا داخليا "تحكمها قيم صوتية أرحب من الوزن والنظم المجردين"⁽³⁾. "وهو صوت مهموس فلا حركة للوترين الصوتيين وهذا مناسب للمعنى لما فيه من إلحاح وطلب للاستعادة، وعند النطق به يبقى رأس اللسان منخفضا ومستندا وراء الأسنان السفلى في حين يرتفع الجزء الخلفي منه تجاه أقصى الحنك اللين مرتفعا بحيث يسدّ مجرى الهواء من الأنف، فصوت (القاف) إذن انسدادى لهوي مهموس فموي، وفيه معاني الثقل الذي يتناسب مع معنى الأمر الإلهي والالتزام به. فالمتأمل في الآية يجدها تتميز باستعمالها للأصوات المجهورة والشديدة؛ لأن في طلب الإعادة أمرا إلهيا غايته سلامة الإنسان من كلّ

⁽¹⁾ مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1404هـ/2001م، 91.

⁽²⁾ حازم دنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، كلية التربية، جامعة الموصل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 11، تشرين الثاني 2013، ص 599.

⁽³⁾ محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص362.

شر، فعليه الامتثال لأمر خالقه عز وجل وهو أمر يتناسب مع الاستعاذة والتأكيد عليها التي تقتضي المجاهرة وعلو النبرة يعزز ذلك أنها ابتدأت بلفظ (قل)؛ أي قل ذلك واجهر به".⁽¹⁾

و"يأتي بعده صوت اللام الذي يعتمد في مخرجه على طرف اللسان على أصول الأسنان العليا ويمنع مرور الهواء المندفع إلاّ أنّه يترك منفذا ضيقا ويهتز معه الوتران الصّوتيان إلا أن حركة السّكون على (اللام) تحد هذه الذبذبة مع وجود (اللام)"⁽²⁾. "فسكون اللام أشدّ بروزا من سائر الصّوامت المجهورة، ويشعرنا بسكون النفس وراحتها وهدأتها المنبعثة من سكون الليل وهدأته عند التّلفظ بالإعادة، فالنفس في مناجاة ربها ودعائها تهدأ، وتشعر بالراحة والاطمئنان من وحشة الليل وظلمته، فهي تحتاج إلى ما يهدئ من روعها، ويرفع عنها العذاب والرّعب، وما تعانيه وتقاسيه من قلق وخوف وألم، فكأنّها قد هيئت واستعدت لتقبّل أمر الله تعالى وهو الاستعاذة من كلّ ما خلق".⁽³⁾

وقد "تتوّعت المقاطع في (أعوذ) ما بين قصير مفتوح وطويل مفتوح، ويبدو تأثير الكلام وإثارة الانفعال من خلال مراعاة نفسيّة المخاطب ومستوى

⁽¹⁾ عزة عدنان أحمد عزت: بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) برواية حفص عن عاصم-دراسة صوتية، بإشراف أ.د. رافع مالو، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005م، ص307

⁽²⁾ حازم ذنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، مرجع سابق، ص600.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص600.

إدراكه وظروف الخطاب⁽¹⁾ في ألفاظ الآية من خلال استعمال لفظ "(أعوذ) التي تحمل معنى الالتجاء"⁽²⁾، و"اللطيف في قوله (أعوذ) بدل أستعين أو أحتمي أو أستجير أن المد فيها بصوت الواو، أما مرادفاتها فالمد فيها بالياء، والواو أنسب للاستعاذة؛ لأنها تعبر عن النَفْث بعد الانتهاء منها"⁽³⁾. "فضلا عن ذلك مجيئها بصيغة المضارع لتدل على أن معنى الاستعاذة لا يتعلق بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء؛ وإنما جاء بهمة المتكلم وحدها مشكلة للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ الأعراف الآية 200"⁽⁴⁾.

و"المقاطع المفتوحة تحمل في طياتها معنى المبالغة في سرعة الإجابة، وكذلك التّنوع في المقاطع يشير إلى الانتقال من حالة الضيق إلى الفرج، وأنّ بعد هذا الشر خيرا، فابتداء الآية بالمقطع القصير المغلق يشعر بتهيؤ النفس واستعدادها للتلفظ بالاستعاذة، وأن للحركات القصيرة دلالة واضحة على قصر الشر وانقطاعه، فضلا عن ذلك فإن فيها المفاجأة في إصابة الإنسان بالشر. فجو المباغنة والسرعة في الإجابة يناسبه الحركة القصيرة السريعة لما فيها من حسم

⁽¹⁾ مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1404هـ/1978م، ص76.

⁽²⁾ الخليل ابن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1980م، مادة (عوذ) 229/2.

⁽³⁾ عزة عدنان أحمد عزت: بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون)، مرجع سابق، ص321.

⁽⁴⁾ حازم ذنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، مرجع سابق، ص601-602.

الموقف، وسرعة الانتقال بين الأحوال من شر إلى خير، ومن ضيق إلى فرج، وتلاحق هذه المواقف ما بين الاستعاذة بربّ الفلق وما يحيط الإنسان من شرّ ما خلق، ومن شرّ الليل إذا وقب، ومن شرّ السّاحرات اللّاتي ينفثن في العقد، ومن شرّ كل قلب حاسد خال من الإيمان⁽¹⁾.

"تلاه مقطعان طويلان مغلقان (ر/ب/ل)، والرّبّ هو الملك والخالق والمحيي والمميت والمغني والمتصرف بمخلوقته على ما يشاء زيادة ونقصان، وبناء وهدما، وإيجادا وإعداما. واستعمال كلمة (ربّ) من دون لفظ الجلالة (الله) تدلّ على التّربية والتّعليم، وهذا المقام مقام تربية وتعليم للأمة الإسلاميّة"⁽²⁾. "وفي تعليق العياض باسم الرّبّ المضاف إلى الفلق المبنيّ عن النّور عقيب الظّلّة، والسّعة بعد الضّيق، والفتق بعد الرّتق"⁽³⁾. ويعزز ذلك "وجود حرفي (الرّاء والباء)، فتكرار صوت (الرّاء) في جميع السّورة يدل على أن الشرّ متكرر ومستمر، ويشعرنا بقوة المستعاذ منه وهوانه من خلال تفخيمه و ترقيقه في لفظي (ربّ) و (شرّ) ناهيك عن الابتداء بـ (قل أعوذ) لتعلم الاستعاذة وتحاكيها من خلال امتداد وصائت الواو في الفعل (أعوذ) / عو // ص ح ح /؛ إذ يوحي من خلال شكل الشّفتين عند النّطق به

⁽¹⁾ عزة عدنان أحمد عزت: بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون)، مرجع سابق، ص602.

⁽²⁾ عزة عدنان أحمد عزت، بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون)، مرجع سابق، ص602.

⁽³⁾ إسماعيل حقي بنو مصطفى البروسوي: روح البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، د ت، ج30، ص541.

بالنّفث بعد الانتهاء من الاستعاذة، فضلا عن احتواء الفعل (أعوذ) على ثلاثة مقاطع صوتية متحركة عبّرت عن قوة الاستعاذة، حيث لا شيء مغلق في طريقها⁽¹⁾، فيجب الالتزام بما أمر الله به للتخلص من جميع الشرور والآلام والآفات⁽²⁾.

وأعقبهما مقطع قصير مفتوح(ف) وما مجيء هذه المقاطع المفتوحة إلا ركائز للوصول إلى الفلق، وفيه دلالة على الإسراع في الفرج، وهذا ما يوحي به حرف/ ف/ وهو مقطع قصير/ص ح/ ليدل على التفتّي والانتشار، وكأنه الفرج المنتظر من الإنسان.

وانتهت الآية بمقطع مغلق (لق) /ص ح ص / ليشعرنا بالانغلاق التّام في نفسيّة الإنسان، مالم يستجب لأمر الله تعالى بالإعاذة من شر كل ما خلق بعامّة.

وقد "خصّص الإعاذة (بربّ الفلق) من دون غيرها لأنّ في هذا التّنوع مقصدا دلاليا وغرضا بلاغيا، ففي هذا التّخصيص انسجاما مع جو السّورة كلّها ويشترك فيه، وقد كان المتبادر إلى الدّهن أن يعوذ من الظّلام بربّ النّور، ولكن الدّهن هنا ليس المحكم إنّما المحكم هو حاسة التّصوير الدّقيقة، فالنّور يكشف الغموض المرهوب، ولا يتسق مع جو الغسق والنّفث والعقد، ولا مع جو الحسد، والفلق يؤدّي معنى النّور من الوجهة الذهنية ثم يتّسق مع الجو العام من الوجهة التّصويرية،

⁽¹⁾ إسماعيل حقي بنو مصطفى البروسوي: روح البيان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج30، ص379.

⁽²⁾ حازم دنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، ص 604.

وهو مرحلة قبل سطوع النّور تجمع بين النّور والظلمة، ولها جوها الغامض المسحور¹. فحينما "نستمع إلى كلمة (الفلق) نستبشر من الأعماق بانبلاج الصّبح، وانكشاف ظلمته، وظهور نوره، ونستشعر بهذا النّعيم بإيقاع يأخذ بمجامع القلوب، ويشدّ إليه المشاعر والوجدان"⁽²⁾.

إنّ تنوّع المقاطع الصّوتية ما بين مغلقة ومفتوحة يشعر القلوب بحالة الإنسان بين الخوف والأمن، والأمل والخداع، والظلمة والنّور.

و"الحروف متناغمة في التّركيب، والوحدات الصّوتية متعادلة في المقاطع، ومخارج الكلمات متوازنة النّظرات، وتراكيب الصّيّاغ القرآني متلائمة الأصوات"⁽³⁾، فحين نقرأ سورة الفلق نجد أنّ الأصوات الواردة في ألفاظها هي أصوات قويّة كالقاف التي وردت ستّ مرات، والشّين التي وردت أربع مرات فضلا عن أصوات الخاء والباء والدال. كما أنّ كلمات الفواصل (الفلق، خلق، وقب، العقد، الحسد) تنتهي بأصوات (ق، ب، د) وهي أصوات متقاربة تشترك بأكثر من صفة كصفة الشّدة والقلقلة، فضلا عن صفة الجهر التي يشترك فيها صوتا الباء والدال. ويتفرد صوت القاف بصفة القوّة غير الموجودة في الباء والدال، وهي "صفة الاستعلاء

⁽¹⁾ سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص 303.

⁽²⁾ حازم ذنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، ص 605.

⁽³⁾ حازم ذنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، مرجع سابق، ص 605.

د(ة).خديجة بن حليمة

التي تكون في الصّوت بسبب ارتفاع أقصى اللسان نحو سقف الفم دون أن ينطبق، مما يؤدي إلى منع الإمالة⁽¹⁾.

إنّ أصوات روي الفواصل تشترك بصفة القوّة. كما أنّ المقطع الأخير السائد هو القصير المغلق حيث يلعب دورا هاما في تحديد إيقاع السورة.

الفاصلة	الروي	وزن الفاصلة	المقطع الأخير	نوعه
فلق	ق	فعل	لق	ص ح ص
خلق	ق	فعل	لق	ص ح ص
وقب	ب	فعل	قب	ص ح ص
عقد	د	فعل	قد	ص ح ص
حسد	د	فعل	سد	ص ح ص

من الملاحظ أنّ وزن الفاصلة ساعد في رفع درجة الإيقاع، وكذلك كون حروف الروي تتّصف بالقلقلة.

حين نربط روي الفواصل بمعنى السّورة العام، نجد أنّ هناك تناسقا كبيرا بينهما، وأن هذه الأصوات جاءت لتصوير المعنى وتوضيحه.

⁽¹⁾ أبو الفتح عثمان ابن جني النحوي: سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1974م، ص771.

ففي سورة الفلق طلب الله من الإنسان أن يتعوذ به تعالى من بعض قوى الشرّ التي تجعل الإنسان مضطرباً خائفاً، لذلك عليه أن يتسلّح أولاً بقوة في الإيمان بالله، وثانياً بقوة في العلم والجسم للردّ على قوى الشرّ هذه. ومن أجل تقوية هذا المعنى أكثر وكذا تأثيره في النفس، نلاحظ أن الأصوات الواقعة روي فواصل في هذه السّورة جاءت قويّة. مما جعل الفواصل وكأنّ كلّ صوت روي فيها عبارة عن ضربة لقوى الشرّ هذه، كما جعلت إيقاع السّورة قوياً يشبه إيقاع قرع الطّبّول إيذاناً بالحرب ضدّ الشرّ.⁽¹⁾

وبما أنّ قوى الشرّ في سورة الفلق مختلفة لكنّها متقاربة، تجمعها صفة الغدر، إذ إنّ شرّهم يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنّما يغتال به⁽²⁾.

خاتمة:

القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعجز الفصحاء فلم يستطيعوا مجارة أساليبه الرّفيعة، ولا معانيه البديعة إذ إنّ له وجوه إعجاز كثيرة ومتنوّعة، فهو معجز ببلاغته ومعجز بأخباره الغيبيّة، وعلومه وغيرها، ولعل من هذه الوجوه وأهمّها الإيقاع نظراً لما يتركه من أثر على المتلقي

⁽¹⁾ ينظر سهى كاظم حسن: الفاصلة في سورتي الفلق والناس، مجلة آداب البصرة العدد 45، كلية التربية، جامعة البصرة، 2008، ص 139.

⁽²⁾ جار الله محمود ابن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، افتاب للنشر، طهران، د ت ، ج 4 ، ص 301.

والمعنى على حد سواء. هذا ما لمسناه من خلال دراسة بعض السمات الإيقاعية في سورة الفلق حيث توصلنا إلى ما يلي:

- تباين آراء الباحثين في تحديد مفهوم الإيقاع واختلاف وجهات نظرهم في نشأته باختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم وثقافتهم.
- للإيقاع أكثر من منحى عند كل من القدامى والمحدثين.
- للإيقاع صلة وثيقة بالسمع الذي يعدّ أداة إلى معرفة قيمة وجمالية مختلف الإيقاعات.
- تتوّع المقاطع الصوتية ما بين مغلقة ومفتوحة في سورة الفلق جاء وما يتناسب مع المعنى العام للسورة.
- أصوات روي الفواصل تشترك بصفة القوة. كما أنّ المقطع الأخير السائد هو القصير المغلق حيث يلعب دوراً هاماً في تحديد إيقاع السورة.
- تلاؤم المعنى مع رويّ الفواصل، ففي سورة الفلق يتعوذ الإنسان من أشياء محسوسة مقلقة، فجاءت أصوات الرّويّ كلها أصوات قلقلّة شديدة كما جاءت متنوّعة متقاربة تجمع بينها صفات الشدّة والانفجارية والقلقلّة وذلك يعود لقوى الشرّ المتنوّعة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، بيروت، م3، 1375هـ، 1956م.

2. أبو الفتح عثمان ابن جني النحوي: سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1974م.

3. أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق: حسن السنوسي، دار سعاد الصباح- الكويت، ط2، 1992م.

4. أبو نصر الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد المالك خشبة، مراجعة وتصدير: محمود أحمد الحقي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، د ت.

5. أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ج6.

6. أحمد عبد الله خلف: الإيقاع الروائي في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد19، العدد2، حزيران2012.

7. إسماعيل حقي بنو مصطفى البروسوي: روح البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، د ت، ج30.

8. تسنيم ذيب عبد الله الخطاب: الإيقاع في القرآن الكريم- مشاهد الجنة والنار أنموذجاً-، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف إسماعيل أحمد عمايرة، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، 2011.
9. جار الله محمود ابن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، افتاب للنشر، طهران، د ت ، ج4.
10. حازم دنون اسماعيل وسناء طاهر محمد: دلالة المقطع الصوتي في سورة الفلق، كية التربية، جامعة الموصل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 11، تشرين الثاني 2013
11. الخليل ابن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1980م.
12. سحواج امحمد: نظرية الاصطلاح في علم الإيقاع-دراسة وتطبيق-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإيقاعية والبلاغية، إشراف العربي عيش، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة حسيبة بن بوعلي، بالشلف، السنة الجامعية 2007/2008م-1428/1429هـ.
13. سهي كاظم حسن: الفاصلة في سورتي الفلق والناس، مجلة آداب البصرة العدد45، كلية التربية، جامعة البصرة، 2008.
14. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1960م.

15. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1996م.

16. صفي الدين عبد المؤمن الأرموني البغدادي: كتاب الأدوار، شرح وتحقيق: هاشم محد الرجب، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.

17. عزة عدنان أحمد عزت: بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عم يتساءلون) برواية حفص عن عاصم-دراسة صوتية، بإشراف أ د رافع مالو، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005م.

18. العياشي محمد: نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصرية، تونس 1976م.

19. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث، ط 08، مؤسسة الرسالة، 2005م.

20. لالوسي عثمان: الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير «شعبة البلاغة وشعرية الخطاب»، إشراف عيسى لحيلج، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008-2009م.

21. مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1404هـ/1978م.

22. محمد الصغير ميسة: جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل درجة الماجستير "تخصص: علوم اللسان العربي"، إشراف عمار شلوي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر، 2011-2012.
23. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984.
24. موسى العموري، البنية الإيقاعية والدلالية في شعر أبي ذؤيب الهذلي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللسانيات، إشراف الدكتور أحمد حساني، السنة الجامعية 2015/2016